العام الشامل للضرورة و الامكان الذاتی و الاستعدادی قریباً أو بعیداً .

و تفاصیل هذه الأمور و بیانها بالبرهان ممّا یطلب فی کتب أهل الکشف و العرفان ، و الله ولیّ الهدایة و الایقان .

المقالة السابعة
فی قوله سبحانه : ﴿یعلم ما بین أیدیهم و ما خلفهم﴾

وفیه مسائل :

[المسألة] الأولی
فی العلم

«العلم» یطلق علی معان بعضها من باب الکیف ، و بعضها من باب الاضافة و بعضها من مقولة المعلوم .

أمّا الأوّل : فهو حالة بها یتمیّز الأشیاء عند العقل .

و أمّا الثانی : فهو النسبة التی بین العالم والمعلوم یعبّر عنه فی لغة الفرس بـ «دانستن» .

و قیل : العالمیّة عبارة من اتحاد الشیء مع مفهوم هذا المشتق ، أی «العالم» و مفهومه کسائر المشتقات أمر بسیط یعبّر عنه فی الفارسیة بـ «دانا» و الذات و النسبة خارجتان عن مفهوم المشتق .

و أمّا الثالث : فهو الصورة الموجودة للشیء المجرّد عن المادة تجریداً تامّاً أو ناقصاً .

فالتامّة فی التجرید مایکون مجرّداً عن المادة و لواحقها و اضافتها جمیعاً إمّا بحسب الفطرة أو بسبب تجرید مجرّد یجرّدها ؛ فعلی أیّ الوجهین یکون معقولا کلیاً أو شخصیّاً ، معقولا لغیره أو لنفسه .

و الناقصة فی التجرید ما یکون مجرّداً عن المادّة فقط دون لواحقها أصلا ، فیکون محسوساً أو عنها و عن بعض لواحقها دون بعض آخر ـ فیکون متخیّلا ـ أو عنها و عن لواحقها جمیعاً دون اضافاتها ، فیکون موهوماً .

و المشهور أنّه من باب الکیف و هو خطأ ، بل قد یکون جوهراً بحسب الماهیّة و الوجود جمیعاً ـ کعلم المجرّد بذاته ـ أو بحسب الماهیّة دون الوجود ـ کعلمه بغیره من الطبایع الکلیّة الجوهریّة ، فانّها جوهر بحسب الماهیّة المعلومة الذهنیّة ، عرض بحسب کونها حالة

علمية شخصيّة خارجيّة ـ و قد يكون مجرّد الوجود القائم بذاته غير داخلة تحت مقولة أصلا، و هو علم الواجب لذاته بذاته و بجميع ماعداه علماً اجماليّاً، فانّ ذاته تعالى لكونه فى غاية التجرّد ـ لتجرّده عن التعلّق بغيره، سواء كان ماهيّة أو أمراً مبائناً يكون حاصلا لذاته حصولا واجباً بالذات، إذ لامغائرة لاذهناً و لاعيناً، فيكون عاقلا لذاته، و لمّا كان ذاته بذاته مبدأ جميع الممكنات فيكون علمه بذاته مبدأ العلم بجميع الممكنات، إذ العلم التام بالعلّة التامّة يوجب العلم التام بالمعلول، و لمّا كان ذاته و علمه بذاته ـ و هما العلّتان ـ شيئاً واحداً فتكون ذوات المجعولات و معلوميتها له تعالى شيئاً واحداً.

فتلك الذوات بأنفسها علم و معلوم له تعالى، و هى من حيث كونها شخصاً واحداً له صورة واحدة علميّة معلوم له تعالى بعلم واحد متقدّم عليها و مقارن بها، و من حيث كونها أموراً متكثّرة متفاصلة يعلمها بعلوم تفصيليّة بعضها متقدّم و بعضها متأخّر و لها مراتب:

أوّلها: نفس ذاته تعالى، فانّه علم تفصيلى بذاته و علم اجمالى بما عداه بمعنى أنّ نسبته اليها نسبة صورة الشىء التى بها قوامه و تمامه، و نسبتها اليه نسبة الحكاية الى المحكى عنه لكونها مظاهر أسمائه، و قد مرّت الاشارة أيضاً الى أنّ الأعيان الثابتة مظاهر أسمائه المتكثّرة، و أسمائه على كثرتها تفصيل مسمّى لفظ «الله» و معناه الكلى، و هو مع كلّيتها عين ذاته الأحديّة المتشخصة بنفسها، لكونه بحت الوجود القائم بذاته.

و ثانيها: مرتبة «القلم» و هو العالم العقلى المحيط على الجميع احاطة كليّة اجماليّة.

و ثالثها: مرتبة لوح المحفوظ المسمّى بـ«أمّ الكتاب» المشتمل على الصور الكلية على سبيل التفصيل، و عالمها عالم القضاء الالهى الذى جرى عليها القلم الى يوم القيامة.

و رابعها: مرتبة اللوح المحو و الاثبات، و هى مرتبة الصور المثاليّة للكائنات بأسرها، المنطبعة أو المتعلّقة بالنفوس الجزئيّة الفلكيّة، المترائية فى مرايا أجرامها الصافية، معيّنة مقرونة بمخصصاتها الزمانيّة و المكانيّة على نحو جزئى

و خامسها: مرتبه الصور الخارجيّة الماديّة.

فالواجب يعلم بنفس ذاته جميع هذه المراتب ـ على كثرتها و تفاصيلها الكلية و الجزئية ـ بعين تلك الصور و محيط بها على الوجه المقدّس عن الزمان و المكان ـ حتى المرتبة الأخيرة مع تغيّرها و تجدّدها، فانّ الصورة الواقعة و إن كانت فى نفسها من حيث كونها مغشاة بأغشية هيولانية محسوسة لامعقولة، إلّا أنّ احاطته تعالى بها من جهة قيوميّتها، و

مشاهدتـه إيّاها من جهة مشاهدة أسبابها و مـقـوّماتها المؤدية اليها، لا من جهة انفـعـال و تأثير منها له ـ تعالى عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

فالمعلومات الجزئية المتغيرة مع جزئيتها و تغيرها و فسادها معلومة له تعالى على وجه ثابت دائم، مصون عن التغيّر و الفساد ـ و هذا ممّا يحتاج دركه الى لطف قريحة.

المسألة الثانية
فى مرجع ضمير الجمع

الضمير لما فى السماوات و ما فى الأرض، لأنّ فيهم العقلاء فغلبوا، أو لما دلّ عليهم «من ذا» من الملائكة و الأنبياء و العالمين و الأولياء و الصالحين و الشهداء، أو للمأذونين منهم فى الشفاعة خاصة، و يحتمل أن يكون للانسان أو للحاضرين من أمّته ﷺ.

المسألة الثالثة
فى أنّ القبليّة و البعديّة المستفادتين من الكلام بأىّ وجه كانتا؟

قد ذكر المفسّرون فيهما وجوهاً:

منها: أنّه يعلم ما بين أيديهم ـ أى ما كان قبلهم من أمور الدنيا ـ و ما خلفهـم ـ أى مـا كان بعدهم من أمور الآخرة ـ عن مجاهد و عطا و السدى.

و منها: يعلم ما بين أيديهم ـ يعنى الآخـرة، لأنّهم يقدّمون عليها ـ و ما خلفهم ـ يعنـى الدنيا، لأنّهم يخلفونها وراء ظهورهم ـ عن الضحاك و السدى.

و منها: يعلم ما بين أيديهم من السماء الى الأرض، و ما خلفهم ـ يريد ما فى السموات، ـ عن ابن عباس رواه عطاء.

و منها: ما ذكره الرازى فى الكبير: يعلم ما بين أيديهم بعد انقضاء آجالهم و ما خلفهم ـ أى ما كان من قبل أن يخلقهم.

و منها: مافعلوا من خير و شر و ما يفعلونه بعد ذلك.

و منها: ما ذكـره نجم الدين الدايه فى تفسيـره المسمّى بـ«بحر الحقائق»: يعـلـم ـ أى الذى يشفع عنده و هو محمد ﷺ، لأنّه مـأذون فى الشفاعة أصالة كما مرّ تحقيقه ـ ما بين أيديهم ـ من أوليّات الأمور و مقدّماتهم قبل خلق الخلائق، و هو عالم الأرواح التى خلقها الله قبل الأجساد بألفى عام ـ و ما خلفهـم ـ مـن أحـوال القيامة و أهوالها و فـزع الخلق و

غضب الرّب و طلب الشفاعة من الأنبياء و قولهم : «نفسى ، نفسى» و رجوعهم بالاضطرار .

أقول : و يحتمل وجهاً آخر و هو أن يكون المراد ممّا بين أيديهم صور المعلومات الجزئية الحسيّة أو البديهيّات ، و ما خلفهم صور المعقولات الكلية أو النظريّات ، لتقدّم الأولى و تأخّر الثانية بالقياس الى الانسان و عدم حصول الثانية له الّا بوسيلة سبق الأولى ـ كما قيل «مَن فقد حساً فقد علماً» .[1]

و حاصله أنّه تعالى عالم بجميع الأشياء ـ جزئيّة كانت أو كلية ـ و من جملتها الشافع و المشفوع له ، و الجهة التى بها يستحق الشفعاء للشفاعة ، و المشفوع لهم للاستشفاع ـ دون غيره ، حتى أنّ الشفعاء لا يعلمون من أنفسهم أنّ لهم من الطاعة مايستحقون هذه الدرجة الرفيعة و المنزلة العظيمة عند الله سبحانه ، و لا يعلمون أنّه سبحانه هل صيّرهم مأذونين فى الشفاعة أم لا؟بل يستحقون المقت و الزجر ، فانّ العزّة لله جميعاً ، والممكن بحسب ذاته متخمّر من الكدورة و الظلمة المنشأة عن ماهيّة الامكانيّة ، و إنّما المنوّر لها و المخرج إيّاها من العدم و الابهام الى الوجود و التحصيل ، و من القصور و النقصان الى التمام و التكميل هو الحق تعالى القيّوم بذاته ، الذى يعطى نور الوجود لمّا يشاء ، كلّ بحسبه و يصطفى من الملائكة و البشر رسلا و أنبياء و يكسيهم كسوة العزّة و البهاء و القدرة و الغنى ، و منزلة الهداية و الشفاعة فى الأولى و العقبى .

المقالة الثامنة

فى قوله سبحانه : ﴿و لا يحيطون بشىء من علمه إلّا بما شاء﴾

و فيه اشارات :

[الاشارة] الأولى

[جميع الموجودات حاضرة عنده تعالى]

قال الرازى فى الكبير[2] : «إنّ المراد من «العلم» هنا المعلوم كالخلق بمعنى المخلوق ، و فى الأدعية : «اللّهم اغفرلنا علمک فينا»[3] أى : معلومک . أو لاترى أنّه إذا ظهرت آية عظيمة قيل : «هذه قدرة الله» أى مقدوره ، و المعنى : أنّ أحداً لايحيط بمعلومات الله تعالى» .

---

١ . تفسير ابن عربى ، ج١ ، ص٥٦

٢ . تفسير الرازى ، ج٧ ، ص١١

٣ . فتح البارى ، ج١١ ، ص٤٧٤ ؛ حقائق التأويل ، ص٩٦ ؛ التبيان ، ج٢ ، ص٣٠٩